

Arabe
Mention d'honneur – M. Amara HAMMAMI

كَلِمَاتُنَا تَفْضَحُنَا

منذُ وقتٍ قريبٍ، وجدّني مُكرهًا على النَّظرِ في مرآةِ نفسي ومواجهةِ أمرٍ رهيبٍ يَعْتريها. إنّه لساني الذي يُكثر من كلمة عَوْدَ عَلَيَّ بَدءٍ، بالقدر الذي يزيدُ عمّا لا ينبغي للمرء أن يزيدَ عليه. وإذا كان عليّ أن أُقدِّرَ عددَ المرّات التي أنطقُ فيها بهذه الكلمة في كلِّ يومٍ، فسأقول إنّه في حُدودِ خمسِ مرّاتٍ .

الأمرُ لا يبعثُ على الفخرِ. فأنّ أكونَ ذاكَ الفتى الذي يستطيعُ أن يُعبّرَ عن شيءٍ ما بصيغةٍ أو بنموذجٍ أو حتّى بمثالٍ معهودٍ، أحبُّ إليّ من أن أُردِّدَ صباحًا مساءً كلمةَ عَوْدَ عَلَيَّ بَدءٍ. ولكيّ، مع الأسف، لستُ بذلكَ الفتى. لم أتنبّه إلى عِلّتي مع كلمة عَوْدَ عَلَيَّ بَدءٍ إلاّ بعد أن صُدِمْتُ بأكثر الصّدّماتِ وجعًا. كان ذلكَ أسابيعَ قليلةً بعد أن باشرتُ وظيفةً جديدةً، وسمعتُ ذاتَ يومٍ ثلاثةً من رفاقِ العملِ، أتعاملُ معهم باستمرارٍ، وهم ينطقون، كلُّهم على حدة، بكلمة عَوْدَ عَلَيَّ بَدءٍ. لمّا نطقَ بها ثالثُ هؤلاء الثلاثة، وكانت امرأةً أعرفها حتّى قبل دخولِ هذه الوظيفة، استوقفْتُها قائلاً: "مَهَلًا، هلِ قُلْتَ عَوْدَ عَلَيَّ بَدءٍ؟ لمَ الجميعُ هُنا ينطقون بهذه الكلمة؟!". "رَدَّتْ بِحِدَّةٍ، ونزلَ جوابُها عليّ نزولَ الصاعقة": لا بُدَّ أنّك مريض. هذه الكلمة من بناتِ كلماتِك أنت".

أنكرت الأمر في البداية، ودخلت في أخذٍ وردٍّ، ثم عدت إلى البيت بعد العمل وسألت زوجتي إن كانت قد رأته مني استعمالاً كثيراً لكلماتٍ غريبة من النوع الذي يشيء بهويتي .

”أتقصدُ عَوْدَ على بدءٍ؟“ قالتها من دون أدنى تمهّلٍ . ثم انهمرَ فيضُ الكلماتِ الوأشياتِ ” . كما أنك تستعملُ دائماً كلمةً مُتلاَمِسٍ . وأيضاً كلمةً قَيْدُومٍ ! ولا تكفُّ أيضاً عن الحديثِ عن المبلغ الذي بلغه شخصٌ ما في فعلٍ هذا الأمر أو ذاك“ .

واسترسلتُ تُعَدِّدُ الكلمات، وتبيّنَ أنني ميّالٌ إلى المهجورِ من الكلام، وفي قلبي وشائجٌ قُربى من كلمة دَرَكَ .

ومع عودتي إلى العمل في اليوم التالي، كنتُ قد سلّمتُ على مَضِضٍ بأني مُفْرَطٌ في استعمالِ حَفْنَةٍ من الكلماتِ الطَّنّانة، وبأنّ الجميعَ من حولي يُدركون ذلك . ولكني لاحظتُ أيضاً تغيّراً في كلامي مع زملائي في المكتب . القدرةُ لديّ على تنميقِ الجُمَلِ بَقَيْدُومٍ أو على نثرِ المبالغ هنا وهناك، على عهدِها لم تنقصُ قيْدَ أَمَلَةٍ؛ ولكنني أقلعتُ بعزمٍ وبجدٍّ عن استعمالِ عَوْدَ على بدءٍ . لقد كانت من بناتِ كلامي رغمَ أنني لم أدركُ الأمرَ إلاّ البارحة . صار الجميعُ يقولونها الآن وأنا لم أكن أرغبُ بمجردِ التّقليدِ في استعمالها بعد أن أصبحت هذه الكلمة ملكاً لي على ما يبدو .

[...]

ومع ذلك، لن أصيرَ واحدًا من المتهافتينَ على سرقةِ تراثِ الآخرين من الكلام .
يا لهُ من عجزٍ! يا له من جُمودٍ! يا لهُ من حُسرانٍ! ولكنْ لسائلٍ أن يسألَ كم
من الوقت، منذ كتابةِ هذه الأسطر، مَضَى على ذاكرتي قبلَ أنْ تَعُودَ بي إلى
عهدٍ كنتُ قد أتيتُ فيه بالحُلُقِ نفسِه الذي أَخْرَجَنِي عن طَوْرِي عندما حدثَ
في المكتب؟ أقولُ لك: أربعُ ثوانٍ تقريبًا .

لقد حدثَ ذلكَ قبلَ بضعةِ أشهرٍ عندما كان أحدُ المقرَّبين من أصدقائي يُكثِرُ
من استعمالِ كلمةِ هائل، وكان من عادته، إذا أنا أرسلتُ إليه برابطٍ لمشاهدة
لقطةٍ في غايةِ الروعة من إحدى مبارياتِ البايزُبُول أو لمشاهدة فيديو عنزةٍ بلهاءٍ
وهي تصيحُ، أن يردَّ باقتضابٍ ويكتبُ ” :إنه هائلٌ“ ؛ أو كان يُرسلُ إلى
بالبريد الإلكتروني مقالاً من المقالات ويكتب في بدايته ” :هذه قصةُ هائلة .“
استعماله لهذه الكلمة يخدمُ غرضه . جَدًّا! لذلك، وجدُّني، وفي لمحِ البصر،
أتلَقُّها منه دونَ أن يَرَفَّ لي جفنٌ .

ما حدثَ لمَ استوعبهُ إلا في شهرٍ تموز عندما رَدَّتْ صديقتُ لي على إحدى
رسائلي الإلكترونيّة وعلَّقتُ على اختياريّاتِي الغريبةِ للكلمات بالقولِ قبلَ أنْ
تختَمَ ” :لديكَ أيضًا استخدامٌ جيّدٌ لكلمةِ هائل .“ أسرعتُ إلى فتحِ صندوقِ
رسائلي الإلكترونيّة الصّادرة فإذا بي أكتشفُ أنّ الكلمةَ ساريةٌ في ثناياها . ثمَّ
أضافتُ صديقتي قائلةً ” :كم هي عتيقةٌ هذه العبارة! تعالِ نُعيدُ إليها الرُّوحَ من
جديد .“!